﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣﴾ [الشعراء: 72 - 73]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِما قَبْلَهُما:

الانتقال من السُّؤال العامّ إلى السُّؤال التَّفصيليّ

لمّا بيَّنت الآيات السّابقة تمسُّكَ قوم إبراهيم بأصنامهم والتَّعلّقَ بمعبوداتهم الباطلة بالتزامهم العكوفَ على عبادتها، ناسبَ بيان موقف إبراهيم عليه السلام من ذلك، فأخذ يُزهِّدُهم فيها، فقال تعالى مُخبِرًا عنه: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ﴾[1]، فهو انتقالٌ من السُّؤال العامّ إلى السؤال عن التفاصيل بغرض الإقناع.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَسۡمَعُونَكُمۡ﴾: (سمع) أصلٌ يدُلُّ على إيناسِ الشَّيءِ بالأُذُنِ، من النّاسِ وكلِّ ذي أُذُن، تقول: سمعتُ الشّيء سَمعًا[2]، ويأتي السَّمعُ بمعنَى الإجابة، يقالُ: سَمِعَ، أي: أجابَ؛ لأنَّ من سَمِعَ أجاب[3]، وقولُه تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ﴾ أي: هل يسمعونَ دعاءكم، فحذفَ المضاف[4]، وبمعنَى: هل يجيبونَكم[5].

2) ﴿تَدۡعُونَ﴾: (دعو) أَصْلٌ يدلّ على أن تُميلَ الشَّيءَ إليكَ بصوتٍ وكلام يكونُ منك، تقول: دَعَوْتُ أَدْعو دُعاءً، ويُحمَلُ على الباب مجازًا أَنْ يقال: دَعا فُلانًا مكانُ كذا، إذا قصدَ ذلك المكان، كأنَّ المكانَ دعاه، وهذا من فصيحِ الكلام[6].

والدُّعاءُ كالنِّداء، والدُّعاءُ لا يكادُ يقالُ إلّا إذا كان معه الاسْم،

(1) البقاعي، نظم الدُّرر: 14/ 48.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (سمع).
(3) ابن الأنباري، الزّاهر: 1/ 59.
(4) أبو علي الفارسي، المسائل الحلبيّات، ص: 83، والأخفش، معاني القرآن: 2/ 646، وأبو عبيدة، مجاز القرآن: 2/ 87.
(5) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 84، وابن الأنباري، الزّاهر: 1/ 59.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (دعو).

نحو: يا فُلان، قالَ تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ﴾ [الأعراف: 56]، ودعَوْتَه: إذا سألتَه، وإذا استغثْتَه، قالَ تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ [البقرة: 68]، ومنه قولُه تعالى: ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ﴾[1].

3) ﴿يَنفَعُونَكُمۡ﴾: (نفع) كلمةٌ تدُلُّ على خلافِ الضُّرّ[2]، والنَّفعُ: ما يُستعانُ به في الوصولِ إلى الخَيْرات، وما يُتوصَّلُ به إلى الخيرِ فهو خيرٌ، فالنَّفعُ خيرٌ، وضدُّه الضُّرّ، قالَ تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعَا وَلَا ضَرًّا﴾ [الأعراف: 188]، وقالَ تعالى: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ﴾ [هود: 34][3]، وقولُه تعالى: ﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ﴾ أي: يَرْزقونَكم[4]، أو يَنْفعونَكم بوَجْهٍ من وجوهِ النَّفع[5].

4) ﴿يَضُرُّونَ﴾: (ضرّ) ثَلاثَةُ أُصولٍ: الأَوَّلُ خِلافَ النَّفْعِ، والثّاني: اجْتِماعُ الشَّيْءِ، والثّالِثُ القوَّةُ[6]، وضارَّه بالتَّشديدِ بمعنى ضَرَّهُ، والاسْمُ: الضَّرَر، والضُّرُّ: بالضَّمِّ الهُزالُ وسوءُ الحال، إمّا في النَّفْس، أو في البَدَن، أو في المالِ والجاه، والضَّرُّ: ضدُّ النَّفْع، والضَّرّاءُ: الشِّدَّةُ، اسْمٌ مؤنَّثٌ من غيرِ تذكير[7]، ومعنى قوله تعالى: ﴿أَوۡ يَضُرُّونَ﴾ أي: يملِكونَ لكم ضرًّا[8]، أو يضرّونكم إذا تركتُم عبادتَكم لها[9].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تُبَيّن الآية طريقة إبراهيم ﷺ في إقامة الحجَّة على قومه الَّذين

الحوار المقنِع هو طريق أبي الأنبياء في إيصال الحقّ للمدعوّين

(1) الرّاغب، المفردات: (دعا).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (نفع).
(3) الرّاغب، المفردات: (نفع).
(4) الواحدي، الوسيط: 3/ 355 عن ابن عبّاس ﷺ.
(5) الشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 138.
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (ضر).
(7) الرّاغب، المفردات، والرّازي، مختار الصّحاح: (ضرر).
(8) الواحدي، الوسيط: 3/ 355.
(9) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 92.

يعبُدونَ الأصنام، فيقولُ لهم: هل يسمعونَ أصواتَكم وقتَ دُعائكم لهم[1]؟! وهل هذه الأصنامُ الَّتي تُقيمونَ على عبادتِها مُستمرّين، ينفعونَكم بسببِ عبادتِكم لها، أو يَضُرّونَكم بتركِكم لعبادتِهم؟ إذْ لا بدَّ للعبادةِ لا سيَّما عند كونِها على ما وصفتُم من المبالغةِ فيها من جَلْبِ نفعٍ، أو دَفعِ ضُرٍّ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

عِلَّةُ فصل الجُملة عمّا قبلها:

طريقةُ المحاورات تقتضي الفصل بين الأقوال

لمّا سأل إبراهيم عليه السلام: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾، فأجاب قومه: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾، وأراد أن يُبيّن عيبَ فعلِهم مُنبِّهًا على فساد معتقدهم قالَ: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾، ففُصلت الآية لأنّها استئنافٌ بيانيٌّ مَبْنيٌّ على سؤالٍ نَشأَ مِن تَفصيلِ جَوابِهم[3].

غرضُ الاستفهامِ ودلالتُه:

افتتاحُ المجادلةِ بالاستفهام مقترنًا بالتَّعجُّب

الاستِفهامُ في قَولِه تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ لافتِتاحِ المُجادَلةِ معهم؛ ولأجْلِ ذلك كان الاستفهامُ مُقترِنًا بما يَقتَضي التَّعجُّبَ مِن حالِهم[4]، فهو استفهامٌ إنكاريٌّ، وهو أقوى من الهمزة في الاستفهام، كما لو قيل: (أيسمعونكم).

بلاغةُ المجاز بالحذف:

المنفيُّ عن الأصنام مطلقُ السَّماع وخصوصُ الإجابة

جُعِل مفعولُ ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ في قَولِه تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ ضَميرَ المُخاطَبينَ، تَوسُّعًا بحَذفِ مُضافٍ، تَقديرُه: (هل يَسمَعون دُعاءَكم؟)، أو يكون التَّقديرُ: (يسْمَعونَكم تَدْعون)؛ حُذِفَ لدَلالةِ قَولِه: ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ عليه[5]، وما جاء عليه النَّظم أبلغُ من

(1) الشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 138.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 92.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 510، وأبو السُّعود: 6/ 247.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 138، والهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 20/ 219.
(5) الزَّمخشري، الكشّاف: 3/ 318، والبيضاوي، أنوار التَّنزيل: 4/ 140، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 163.

التَّقدير، ذلك أنَّ فيه تشويقًا لِما بعده، لأنَّ السَّماعَ عامٌّ، فجاء ما بعده تخصيصًا بالدُّعاء، فيكون نفَى عنهم السَّماعَ مُطْلقًا، ثم نفَى عنهم الاستجابة لدعائهم.

وعليه فيحتمل قوله: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ السَّماعَ نفْسَه، أي: هل يسمعون دعاءكم إذ تدعونهم؛ كقوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾ [فاطر: 14]، ويحتمل معنى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾ أي: هل يُجيبونكم إذ تدعونهم[1]؛ وكِلا المعنَيَين سائغٌ في هذا المقام، فالتَّقدير: (هل يسمعون دعاءكم حين دعوتموهم وهل يجيبونه)[2].

نكتةُ تقييد المضارع بالظَّرف:

حِكايةُ الحالِ الماضيةِ أبلغ في التَّبكيت

قُيِّد الفعل المُضارِع ﴿يَسْمَعُونَكُمْ﴾ بالظَّرف ﴿إِذْ﴾ في قولِه تعالى: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ على حِكايةِ الحالِ الماضيةِ، لاستِحضارِ صورتِها؛ كأنَّه قيل لهم: استَحضِروا الأحوالَ الماضيةَ الَّتي كنتُم تَدْعونها فيها، وأَجيبوا: هل سمِعوا أو أُسْمعوا قطُّ؟! وهذا أَبلَغُ في التَّبكيتِ[3]، أي: استحضروا أحوالَكم معهم من أوَّل عبادتكم لهم وإلى الآن: هل سمعوكم وقتًا ما؟ ليكون ذلك مَرجِّيًا لكم لحصول نفعٍ منهم في وقتٍ ما[4]؛ فجيء بالمُضارع لبيان استمرار أحوالهم في دعاء أصنامهم وعبادتها مع عدم سماعها وإجابتها لهم.

نكتةُ تقديم ذِكْرِ النَّفع على الضُّرّ:

أهـلُ الأهـواءِ يُهرولون نحو جلبِ نفعهم

لَمّا كان شأنُ الرَّبِّ تعالى أنْ يُلجَأَ إليه في الحاجةِ، وأن يَنفَعَ أو يَضُرَّ؛ أَلْقَى إبراهيمُ عليهمُ استِفهامًا عن حالِ هذه الأصنام: هل تَسمَعُ دُعاءَ الدّاعينَ؟ وهل تَنفَعُ أو تَضُرُّ؟ تَنبيهًا على دليلِ انتِفاءِ

(1) الماتريدي، تأويلات أهل السُّنَّة: 8/ 63.
(2) الجاوي، مراح لبيد: 2/ 150.
(3) الزَّمخشري، الكشّاف: 3/ 318، والبيضاوي، أنوار التَّنزيل: 4/ 141، وأبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 163.
(4) البقاعي، نظم الدُّرر: 14/ 49.

الإلهيَّةِ عنها[1]، إذ لا بدّ للعبادة من مقصدٍ من هذه المقاصد، حيث كانت على ما وصفتُم من المُبالغة فيها والحفاوة بها والإقامة عليها، فهل لأصنامكم التي آثرتموها بالعبادة صفة النَّفع أو الضُّرِّ؟ وقُدِّم النَّفع على الضُّرِّ في قوله تعالى: ﴿يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾؛ لأنَّه المقصود بالدُّعاء في جلب الخيرات.

فنُّ بديعِ الطِّباق:

أبلغ بيانٍ في بلوغ غاية الضّعف والسّفول

في قوله تعالى: ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ طباقٌ، وجيء به لإتمام الحُجَّة القاطعة والحقيقة السّاطعة الدّالَّة على ضَعْفِ معبوداتهم وسُفول رُتبتها حتَّى في مُقابلة عابديها.

نكتةُ تقييد فعل النَّفع وإطلاق فعل الضُّرّ:

النَّفعُ مطلوب النَّفس والضُّرُّ يعمُّ غيرها

قُيِّد النَّفع بالضّمير في قوله تعالى: ﴿يَنفَعُونَكُمْ﴾، أي: أنتم، وأُطلق فعل الضرِّ ﴿يَضُرُّونَ﴾، أيْ: يضرّونكم أو غيركم، أيْ: لا يضرّونكم ولا يضرّون عَدوَّكم، فلماذا تعبدونها؟! فقُيِّد النَّفع لأنَّ الإنسان يريده لنفسه فحسب، وأُطلق الضُّرّ لأنَّه أراد العموم فهم لا يضرّون غيركم فضلًا أن يضرّونكم؛ فالحذف للعموم، فإمّا: يضرّونكم إن لم تعبدوهم، أو يضرّون عدوّكم إذا عبدتموهم[2].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 19/ 139.
(2) العثيمين، تفسير سورة الشُّعراء، ص: 155.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»